ابن الجزار القيرواني وإسهاماته العلمية.

د. أمحمد بوشريط*

مقدمة: شهد المغرب الإسلامي نهضة ثقافية شملت ميادين معرفية شتى، إلاّ أنّ هذه النهضة، لم تكن في بداياتها قد شملت كلّ العلوم، فأوّل ما كان يتعلّمه طالب العلم هي علوم الشّريعة، من فقه وحديث وقرآن وعلومه، ولهذا السبب كثُر عدد من تعاطى هذه العلوم، وفي المقابل لا نجد في باقي العلوم الأخرى مثل الأدب إلاّ النزر القليل، وقد يعود ذلك إلى إقبال علماء المغرب على العلوم الدينية ليتعلموها من خلالها أصول دينهم.

أما الطب والعلوم العقلية لم تعرف لها مكانا إلاّ في فترة متأخّرة، فبنهاية القرن الثالث الهجري (9م)، وظهور القرن الرّابع الهجري (10م) بدأت مثل هذه العلوم تعرف طريقها إلى بلاد المغرب الإسلامي، وكانت القيروان إحدى هذه المحطّات التي أنجبت لنا عددا ممن تعاطوا هذه العلوم، وبخاصة الطب، فكان من بين هؤلاء العلماء الأفذاذ ابن الجزّار القيرواني.

1– التعريف به: هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، ويعرف بابن الجزار القيرواني، المكنى أبا جعفر. ولد بالقيروان حوالي سنة285هـ/898م على عهد الأمير إبراهيم الثاني من حكّام بني الأغلب.[1] وتوفي حوالي395هـ/1004م. في حين يذكر حاجي خليفة أنّ سنة وفاته كانت في حدود سنة 400هـ/1009م. وفي موضع آخر يذكربعد سنة 400هـ/1009م[2]. وأنّ سبب الموت كانت عن طريق قتله، فلم تكن موتة طبيعية. وكانت هذه الواقعة ببلاد الأندلس[3].

وعند مطالعتنا لكتاب الصفدي، يذكر أنّه كان موجودا على أيام المعزّ لدين اللهفي حدود سنة 350هـ/961م أو ما قاربها.[4] ولم تحدد المصادر التي ترجمت له سنة بعينها، إذ اكتفى البعض على القول بأنّه عاش نيفا وثمانين سنة، ومات عتيا بالقيروان، وخلف بعد موته أربعة وعشرون ألف دينار [5] وخمسة وعشرون قنطارا من الكتب.[6]

*أستاذ محاضر أ في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط– شعبة التاريخ– قسم العلوم الإنسانية– جامعة مصطفى اسطمبولي– معسكر، وعضو باحث بمختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

هذا بعض ما ورد بخصوص السنة التي توفي هذا الطبيب، ولكن عند مطالعتنا لبعض من ترجم له يمكن تبيّن أوجه الاختلاف بين هؤلاء المؤرّخين، وهذا ما يظهر لنا جليّا من خلال هذا الرّسم البياني:

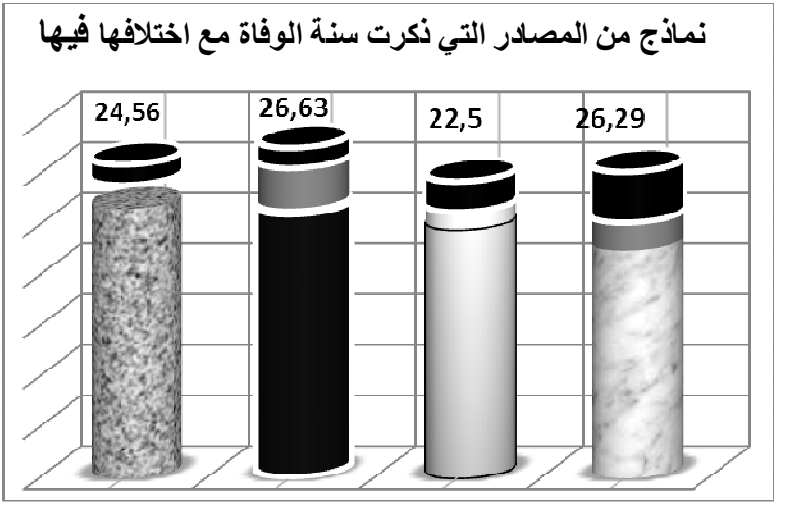

التعليق: من خلال هذا الرسم البيانيوالممثل في أعمدة بيانية، يتبيّن لنا ما يلي:

العمود الأول: الممثّل بنسبة 24.56% ويمثّله كلّ من ابن عذاري وفؤاد سزكين وحسن حسني عبد الوهاب، فكلّ هؤلاء حدّدوا سنة الوفاة بـ: 369هـ/979م.[7]

العمود الثاني: الممثّل بنسبة 26.63% فقد مثّله كلّ من لوكلير وسارتون وحاجي خليفة، حيث حدّد كلّ منهم سنة الوفاة بـ: 400هـ/1009م.

العمود الثالث: الممثّل بنسبة 22.5% مثّله ياقوت الحموي، الذي حدّد سنة 338هـ/949م هي السنة التي توفي فيها ابن الجزّار القيرواني.

العمود الرّابع: الممثّل بنسبة 26.29% وفيها حدّد بروكلمان سنة الوفاة بسنة 395هـ/1004م.

هذه نماذج من المصادر والمراجع التي اختلفت في سنة وفاة ابن الجزّار، ونفس الإشكالية تطرح بخصوص ولادته، وهذا ما يتضح لنا جليّا من خلال هذا الرّسم البياني.

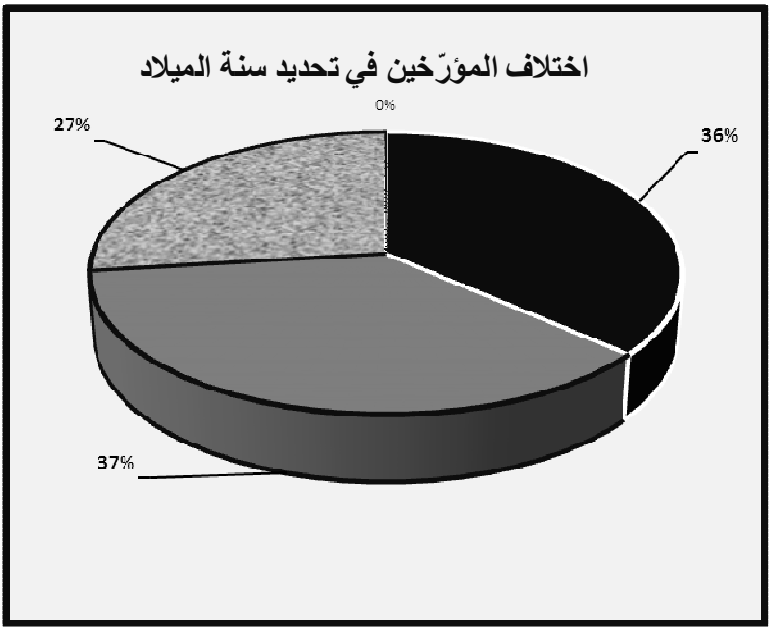

التعليق: يظهر من خلال هذا الرّسم البياني الممثّل في دائرة نسبية نماذج من بعض المؤرّخين الذين اختلفوا في تحديد سنة بعينها لمولد ابن الجزّار القيرواني.

النسبة الأولى، والمقدّرة بـ: 36% ورد ذكرها عند الصفدي،والذي لم يقم بتحديد سنة بعينها، وإنما ذكر ما مفاده: بأنّ ابن الجزّار كان موجودا أيام المعزّ في حدود سنة 350هـ/961م أو ما قاربها.

النسبة الثانية: المقدّرة بـ: 37%وقد وردت عند ياقوت الحموي، والذي ذكربأنّ ابن الجزّار كان حيّا سنة 350هـ/961م دون تحديد لسنة بعينها.

التسبة الثالثة: المقدّرة بـ: 27%وردت عند حسن حسني عبد الوهاب، والذي ذكر صراحة السنة التي ولد بها ابن الجزّار،حيث حدّدها بسنة 258هـ/871م.

هذه أمثلة لبعض من أرّخ لأحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزّار القيرواني، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ أحمد هذا، لم يلق تلك العناية من كتب التراجم، ولم توفه حقّه من هذه الترجمة كما حظي بها أقرانه من العلماء، وهذا قد يرجع إلى شخصيته وميله للتشيّع.[8]

2– أسرته: ينتمي ابن الجزّار القيرواني إلى بيتة علم، ولكن ما يؤسف له أنّ كتب التراجم لم تعتن بهذه الأسرة العلمية كبيت توارث أفراده العلم كابر عن كابر سوى بواحد منهم وهو ابن الجزّار محلّ الدراسة، ولذا فلا مناحة من أن نذكر فردين من هذا البيت، وهما:

محمد بن أبي خالد بن الجزّار، المكنى أبا بكر: (توفي في النصف الأول من القرن الرّابع الهجري (10م) وهو عمّ أحمد المترجم له. أخذ عن أطباء بني الأغلب. كان من بينهم: إسحاق بن عمران وعن تلميذه إسحاق الإسرائيلي، وزياد بن خلفون، وغيرهم من أطباء بني الأغلب.

وفي الرّفع من منزلته، قال في حقّه ابن أخيه أحمد بن الجزّار ما مفاده: "كان عَمُّنا عالما بالطب حَسَنَ النَظر فيه". وفي كتابه "نصائح الأبرار" يخبرنا أحمد أنّ عمّه كان يعالج الأمراء والخلفاء، وهذا ما يتضح لنا جليّا من خلال ما ذكره ابن حماد: أنّ وفاة عبيد الله كانت من ذلك الدواء الذي سقاه به ابن الجزّار العمّ والمتمثّل في "حب السورجان"[9] بسبب نِقرس[10] كان يشكو منه عبيد الله، فهذا يدلّ على أنّ ابن الجزّار كان يعالج هؤلاء الخلفاء الفاطميين.[11]

إبراهيم بن أبي خالد بن الجزّار: هو والد أحمد وأخو أبي بكر المتقدّم ذكره. كان من أولئك الذين احترفوا مهنة الطب، فباشر مهنة الكحالة بالقيروان في نفس الوقت مع أخيه السّالف الذكر، وهذا ما يؤكّده ابن جلجل بقوله: "هو طبيب ابن طبيب وعمّه أبو بكر ".[12] **3– سيرته:** يمكن لنا أن نستشفّ سيرة هذا الرّجل العالم من خلال اطلاعنا على بعض النّصوص المصدرية، والتي تمكّننا من التعرّف على تلك السيرة الحميدة التي اتصف بها، وهو العالم الجليل الذي انتزع احترام غيره، سواء أكان ذلك من طرف طبقة العلماء أو طبقة العامة.

كان ابن الجزّار من أولئك الرّجال الذين لم تغرهم لذات الدنيا، فكان ممن أعرض عليها، وتركها وراء ظهره، فممّا أوثر عليه، أنّه في إحدى خروجه في بعض الجنائز والعرائس، لم يكن يتناول فيها الأكل، ولو أنّ هذا الأمر كان عاديا لمن يحضر مثل هذه الولائم، والتي اشتهر بها سكان بلاد المغرب الإسلامي، كما كان منقبضا عن السلطان، فلم يكن من أولئك الرّجال الذين يتقرّبون زلفا إلى الحكّام، عدا أبو طالب عمّ معد، الذي كان يعتبره صديقا له، وهو من الأصدقاء القدامى الذين تعرّف عليهم، إذ كان يقوم بزيارته كلّ جمعة، فما عدا هذا الصديق، فلم يكن له اتصال بباقي أفراد السلطة الحاكمة آنذاك.[13]

وعن انقباضه عن الحكّام، يقول في هذا الصدد ياقوت الحموي ما مفاده: "وكان مع ذلك حسن المذهب بأصل السيرة، صائنا لنفسه، منقبضا عن الملوك" وقد يكون مردّ ذلك إلى أنّ ابن الجزار كان في غنى عن مثل هؤلاء، فلم يكن محتاجا إلى مساعدتهم، وبخاصة من النّاحية المادية،

باعتبار ابن الجزار كان ذا مكانة اجتماعية ميسورة الحال، وينتمي إلى أسرة عرفت بتعاطيها للعلم، وكانت هذه الأخيرة ذات ثروة وجاه وحسب ونسب، فورث الابن كلّ هذا.[14]

وأما تعامله مع عامّة النّاس، فتبيّن لنا كتب التراجم أنّ تعامله مع مثل هذه الطبقة من المجتمع، كان تعاملا خاصا، فقد كان يوكل إلى أحد غلمانه –يدعى رشيق–، بأن يقعد على باب داره وقد جعل له بها سقيفة، حيث أعدّ له بعض الأدوية المتكوّنة من جميع المعجونات والأشربة، فإذا مرّت بجانب الدار بعض القوارير (النساء) طلب منهنّ أن يقصدن الغلام لأخذ حاجاتهم من تلك الأدوية التي قام بإعدادها، ولم يكن يأخذ في مقابلها مالا.[15] وهذا ما يؤكّده الصفدي بقوله: "وكان له معروف وأدوية يفرّقها".[16]

ومما يؤكّد على سخاء هذ العالم الطبيب وزهده في الدنيا، وحسب ما ذكره ابن جلجل حين رام الترجمة له، ذكر أنّه قام بمعالجة أحد المرضى، فكتب له والد هذا المريض –وهو قاضي بلده– جوابا شكره فيه، مرفوقا بكسوة وثلاثمائة مثقال[17]، فما كان على ابن الجزّار سوى تقديم الشكر لوالد هذا المريض، ولم يقبض المال ولا الكسوة، فاستغرب فعله أحد الحاضرين، وقال له: "يا أبا جعفر رزق ساقه الله إليك"، فكان جواب عالمنا هذ، "والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة".[18]

ومن سيرته التي ارتبطت بشخصيته والتي كان يلازمها، فقد كان في كلّ عام ينهض إلى رابطة على البحر، وكان هذا الموضع مشهور واشتهر عن من يروي الأخبار، وهو يقع على ساحل البحر الرّومي، فيبقى به طوال أيام القيظ، فيقضي به أيامه، ثمّ ينصرف إلى داره بإفريقية.[19]

هذا كلّ ما جادت به قريحة بعض من ترجم لهذه الشخصية الفذّة، إلا أنّ كتب التراجم أهملت الكثير من الجوانب المهمة فيما يتعلّق حياة ابن الجزّار، وقدرجّح البعض هذا الإهمال إلى سببين رئيسيين، وهما:

*شخصية ابن الجزّار: فقد كان البعض يرى أنّه كان متكبّرا ومعجبا بنفسه، وأخذ لنفسه مذهبا عجيبا. وقد يكون ذلك من بين أحد هذه الأسباب.[20]

*مذهبه: أما البعض الآخر فقد قال أنّه كان يميل إلى التشيّع، وهذا ما يظهر لنا جليّا من خلال مطالعتنا لما ذكره صاحب رياض النفوس حين ذكر ما مفاده: "كان ابن الجزار الطبيب على خلاف السنة".[21] وهذا ما ذكره حسن حسني عبد الوهاب حين قال: "وربما كان ميله هذا لآراء

الشيعة هو السبب الذي حمل أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على التغافل عن إيراد ترجمته في مصنّفاتهم، لأننا لم نر من بينهم من تكلّم عليه لا بالكثير ولا بالقليل".[22]

4– مكانته العلمية: من خلال ما حلاّه به بعض من ترجم له من العلماء تظهر لنا جليّا تلك المكانة العلمية التي حاز عليها ابن الجزّار، فممن ذكره منهم، نخصّ بالذكر:

*صاعد الأندلسي: الذي حلاّه بقوله: أنّه كان "حافظا للطب دارسا لكتبه جامعا لتواليف الأوائل حسن الفهم".[23]

*ياقوت الحموي: وهو نفس ما ذهب إليه صاعد الأندلسي، وهذا ما يظهر لنا جليّا من خلال ما حلاّه به، فقال: "حاذقا دارسا، كُتُبُهُ جامعة لمؤلّفات الأوائل، فيه حُسنٌ لها".[24]

*ابن أبي أصيبعة: الذي ذكره بقوله: "وكان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلّع والدراسة... حسن الفهم".[25]

*ابن جلجل: إنّ أحمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذا عجيبا في سمته وهديه وتعدده، ولم يحفظ عنه بالقيروان زلّة قط".[26]

*الصفدي: والذي حلاّه بنفس ما حلاّه به أصحاب كتب التراجم سالفي الذكر، على أنّه: كان "حاذقا دارسا، كتبه جامعة لتواليف الأوائل".[27]

*ابن عذاري المراكشي: حلاّه بقوله: "الطبيب الكبير المعروف بابن الجزّار".[28]

*كشاجم الشّاعر: الذي أعجب بهذا العالم الجليل، فقرض فيه أبياتا شعرية مدحه بها، فمما جاء منها، قوله من البحر الطويل.

أبا جَعْفَرٍ أبَقَيْتَ[29] حَيًّا ومِّيتًا مفَاخِرَ في طَهْرِ[30] الزَّمَانِ عِظَامَا

5– شيوخه وتلامذته: لم تفدنا المصادر بكلّ شيوخه الذين أخذ عنهم علمه، وإنّما اكتفت بالقول: أنّه ينتمي إلى أسرة علمية، فأبوه كان طبيبا، وعمّه أبو بكر كان هو كذلك امتهن حرفة الطب، وكان ممن لقيه ابن الجزّار، إسحاق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه. وما قيل عن شيوخه، ينسحب على تلامذته الذين أخذوا عنه العلم.

أ– شيوخه: من بين الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، نخصّ بالذكر منهم:

*إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، المكنى أبا يعقوب: شاع ذكره بالإسرائيلي (320هـ/932م). من أهل مصر، وبعدها سكن القيروان ولازم إسحاق بن عمران وأخذ عنه. كان في خدمةأبي محمد

عبيد الله المهدي صاحب إفريقية. وكان مع براعته في صناعة الطب، بصيرا بالمنطق، متصرّفا في عدّة علوم. عاش فترة طويلة وكان صرورة، لم يتزوّج قط، وهو القائل: "لي أربعة كتب يحيي ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحميات، وكتاب الأغذية والأدوية وكتاب البول، وكتاب الأسطقسات.

ترك لنا آثارا في الطب، نخصّ بالذكر منها: كتاب الأدوية المفردة وكتاب الحدود والرّسوم وكتاب بستان الحكيم، وفيه مسائل من العلم الإلاهي، وكتاب في المنطق، كتاب في الحكمة وهو كتاب في الترياق.[31]

ب– تلامذته: من بين التلاميذ الذين أخذوا علمهم عن ابن الجزّار، نخصّ بالذكر منهم:

*عمر بن حفص بن برتق: وهو من التلاميذ الذين درسوا على ابن الجزّار بالقيروان.[32]

6-**إسهاماته العلمية:** كانت لابن الجزار إسهامات جليلة في ميادين معرفية مختلفة، سواء أكان ذلك في العلوم العقلية أوالنقلية. وقبل التعرّض إلى هذه الإسهامات، فحريّ بنا ان نحصي هذه المشاركة العلمية من خلال هذا الرّسم البياني:

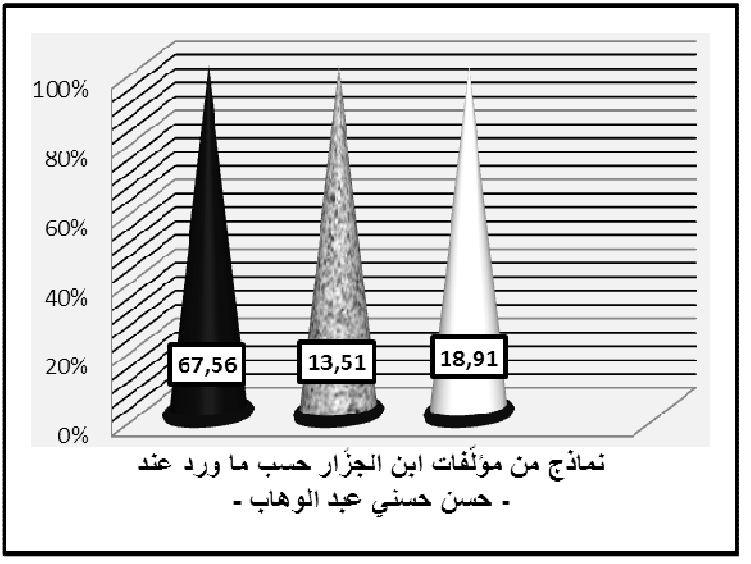

التعليق: يمثّل هذا الرّسم البياني نماذج من مؤلّفات ابن الجزّار في بعض العلوم، حسب ما ورد في كتابّ العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيين.[33]

النسبة الأولى: 67.56% تمثّل نماذج من كتبه في الطب، والذي افتتح هذه القائمة بكتابه المشهور "زاد المسافر".

النسبة الثانية: 13.51% تمثّل مؤلّفاته في التاريخ والجغرافية، وافتتح الكلام عنها بكتاب "التعريف بصحيح التاريخ".

النسبة الثالثة: 18.91% وفيها ذكر مؤلّفاته في الأدب وغيرها من العلوم التي برع فيها.

هذه نماذج من مؤلّفات ابن الجزار القيرواني، إذ لا يمكن الاتيان بكلّ ما ألّفه، فلو ذكرناها بأكملها لكان لنا في ذلك غنية.[34]

أما الرّسم البياني الموالي، يظهر لنا بوضوح مؤلّفات ابن الجزّار الموجودة والمفقودة.

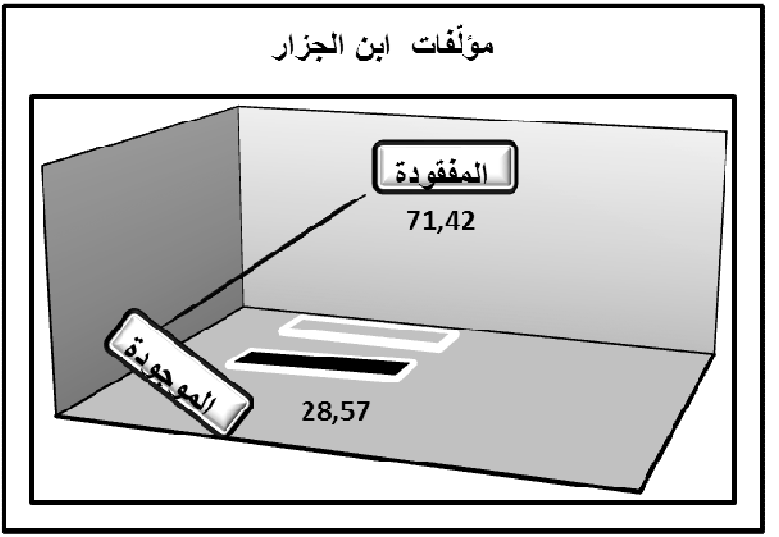

فمن العلوم التي كان له فيها باع طويل، نذكر.

أ– العلوم الطبيّة: عند مطالعتنا للمصادر التي ترجمت لهذه الشخصية العلمية، نجدها تبرز لنا هذا الجانب أكثر من الجوانب الأخرى التي خاض فيها عالمنا هذا، ويعود ذلك إلى سبب واحد، وهو تضلّعه في احتراف مهنة الطب، وهذا ما يظهر لنا جليا من خلال ما حلاّه به مترجموه. فمن بين هؤلاء العلماء، نذكر منهم:

ابن أبي أصيبعة: ذكر بأنّه طبيب ابن طبيب، ونشأ وتربى في بيت كان أفراده أطباء. وكان متطلّعا ودارسا للطب.[35]

وحذا حذو ابن أبي أصيبعة الأديب ياقوت الحموي الذي رفع من منزلته العلمية، فقال: أنّه كان طبيبا حاذقا، ودارسا له.[36]

أما صاعد الأندلسي فأضاف قوله: "كان حافظا للطب دارسا لكتبه" ولم يكتف ابن الجزار بدراسته للكتب الطبيّة، بل جمع فيه عدّة تآليف ليطالعها ويستفيد مما تحمله من معارف جديدة في هذا العلم.[37]

– مؤلّفاته في الطب: أفادتنا المصادر بعدد من هذه المؤلّفات والتي استحسنتها، فمنهم من قال بأنّ له "مصنّفات حسنة في الطب".[38] في حين اكتفى كل من الصفدي وياقوت الحموي بذكر أشهر مصنّفاته دون تعقيب.[39]

فمن أشهر مؤلّفاته في الطب، نخص" بالذكر منها:

*كتاب زاد المسافر: يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب الطبيّة التي وضعها المسلمون، وهو على سبع مقالات كلّها على أبواب كثيرة،[40] وهو كتاب في علاج الأمراض يقع في مجلّدين، وهو من أشهر كتبه[41]، وهذا المؤلّف عظيم الفائدة والتأثير في زمانه[42]، ذكره الزركلي وقال: إنّ نسخا منه موجودة في مكتبة الشّعب بباريس ودرسدن بألمانيا، ورنبور بالهند وخزانة الرّباط تحت رقم (1718 د). ترجم إلى اللّغة اللاتينية واليونانية والإيطالية، ومن هذه الترجمات مخطوطات أقدمها موجود بالفاتيكان.[43]

يعتبر كتاب زاد المسافر من أهم الكتب الطبيّة التي وضعها المسلمون، وهو كتابه الرّئيس الذي تمّ إدخاله إلى بلاد الأندلس.[44]

وقد مدح هذا الكتاب الشّاعر السّالف الذكر كشاجم، حين قام بوصفه، فقال فيه هذه الأبيات من [البحر الطويل].

رأيتُ على زادِ المسَافِرِ عنْدَنا مِنَ النَّاظِرِينَ العَارِفِينَ زِحَاما
فأيقَنْتُ أنْ لوْ كَانَ حَيًّا لِوَقْتِه يُخَنَّالمِا سَمَّـا[45] التمَام تمَاما
سَأحْمَدُ أفْعَالاً لأحْمَدَ لَمْ تَـزَلْ مواقها[46] عنْدَ الكِرامِ كِـراما[47]

*كتاب الاعتماد: وهو كتاب في الأدوية المفردة.[48] وقد ورد ذكره عند صاعد الأندلسي على هذا النّحو: كتاب الأدوية المفيدة المعروف بالاعتماد.[49] في حين يذكرهفؤاد سزكين، على هذا النحو:

"الاعتماد في الأدوية البسيطة"، ثم أضاف قوله: أنّ مؤلّفه ذكر فيه النباتات.[50] أما عند حاجي خليفة، فورد ذكره بهذا الاسم: الاعتماد في الأدوية المفردة.[51]

يحتوي هذا الكتاب على 140 ورقة، وهو موجود في الجزائر وآيا صوفيا والمتحف البريطاني، ومنه مختصر في الرّباط تحت رقم (11211 د). ألّفه صاحبه لأحد ملوك الفاطميين بإفريقية[52].

* كتاب العدة[53] لطول المدة: وهو أكبر كتاب عثر له في الطب، ويفيدنا القفطي فيما حكاه، أنّه رأى له في "قفط"[54] كتابا كبيرا في الطب أسماه قوت المقيم، والذي يتكوّن من عشرين مجلّدا.[55]

*كتاب في فنون الطب والعطر: ذكر مؤلّفه أنّ سبب تأليفه له، تلبية حاجات الملوك والأمراء. ذكر فيه جالينوس ومحمد بن أبي اللّيث وإسماعيل بن علي، وأبو الحسين بن أبي بكر وعبد الله بن أبي يحي، وصالح بن عطاء ويحي بن محمد وجعفر بن حماد الكوفي وقريطون (قريطن)، ويحي بن ماسويه.[56]

*كتاب البُغْيَة: أو كما ورد عند حاجي خليفة تحت هذا العنوان: "البغية في الأدوية المركّبة". وهو كتاب في الأدوية المركّبة.[57]

إضافة إلى كتبه الأخرى في الطب، منها: كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها وكتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها، وكتاب في نعت الأسباب المولّدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوّف منه.[58] وكتاب البلغة في حفظ الصحة.[59] وكتاب طب الفقراء.[60] وكتاب المجربات.[61] وكتاب زاد المسافرين في علاج الفقراء والمساكين.[62]

أما رسائله، فقد كتب في ذلك عددا منها، وهي على النّحو التالي:

*رسالة في النّفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها.[63] ذكرها الزركلي مختصرة، حين رام تعداد مؤلّفاته فقال: "ورسالة في النفس".[64] في حين أورد الصفدي هذا العنوانعلى هذا النّحو: و"رسائله في النفس"، ثم يضيف قائلا: و"ذكر الاختلاف من الأوائل فيها".[65] حيث يظهر للقارئ على أنّ هذه الرّسالة هي عبارة عن رسالتين.

أما ياقوت الحموي فقد ذكرها بصيغة الجمع، حين قال: "ورسائله في النفس".[66] وقد يفهم من كلام الحموي، أنّ لابن الجزّار عدّة رسائل في نفس الموضوع، أي في موضوع ما تتعرّض له النفس البشرية من علل وأمراض، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون الحموي اختصر تلك الرّسائل التي كتبها ابن الجزّار في رسالة النفس فقط، وذلك بقصد عدم التطويل.

*رسالة في سياسة الصبيان وتدبيره:[67] طبعت هذه الرّسالة بتونس.[68]

*رسالة في طب الفقراء: وهي رسالة مخطوطة في المتحف العراقي، ويذكر الزركلي بأنّه رآها في مجموع عند حمّاد بوعياد في الرّباط.[69] وعند اطلاعي على كتاب عيون الأنباء، نجده يذكرها على هذا النّحو: "كتاب طب الفقراء".[70]

*رسالة في استهانة الموت:[71] وكانت هذه الرّسالة بمثابة تحدير أرسلها لبعض إخوانه في الاستهانة بالموت.[72]

*رسالة في الجذام:[73] ويطلق عليها ابن أبي أصيبعة "مقالة في الجذام وأسباب علاجه".[74] ووردت عند حاجي خليفة تحت اسم رسالة في الجذام وأسبابه وعلاجه.[75]

*رسالة في التحدر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه[76]: ووردت عند حاجي خليفة على النّحو التالي: رسالة في الدم والتحذير من الإخراج من غير حاجة.[77]

*رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه:[78]

*رسالة في النوم واليقظة:[79]

*رسالة في إبدال الأدوية:[80]

– مؤلّفات أخرى: لم تقتصر إسهامات ابن الجزّار على التأليف في الطب وعلومه، باعتباره مختصّ في هذا الجانب المهم في حياة أيّ أمّة من الأمم، بل كانت له مشاركة في علوم أخرى مما يدلّ على تعدّد مناحيه المعرفية، وأنّه خاض في ميادين معرفية شتّى، فمن بين هذه العلوم التي كانت له فيها إسهامات جليلة، وجادت قريحته فيها بتآليف لا زالت تشهد على تفوّقه في مثل هذه العلوم، نخصّ بالذكر منها:

ب– علم التاريخ: كلّ من ترجم لابن الجزّار، أظهر لنا هذا الجانب المهم في حياته العلمية، وهذا ما يتوضّح لنا جليّا من خلال ما حلاّه به صاعد الأندلس، حين قال: "وكان له أيضا عناية بالتاريخ"[81] وهذا ما يؤكّده ياقوت الحموي حين ترجم له، فذكر بأنّ ابن الجزّار كانت له عناية بالتاريخ، وهذا ما يظهر لنا من خلال ما ألّفه في هذا الميدان.[82] وهو نفس ما ذهب إليه الصفدي.[83]

*كتاب التعريف بصحيح التاريخ:[84] يقع في مجلّدات، ويذكر الحموي بأنّه رآه في مجلّدات تزيد على العشر، ثمّ يضيف قائلا: "وذاك الذي أوجب ذكره في هذا الكتاب" وكان يقصد من وراء

كلامه هذا، أنّ الحموي برّر ذكره بسبب أنّ مؤلّفه قد برع في تأليفه، ومدى اهتمامه بعلم التأريخ، فكانت نتيجة ذلك أن جادت قريحته بهذا الكتاب الضخم والمهم.[85]

أما بخصوص هذا الكتاب، فقد ذكر حاجي خليفة، بأنّه تاريخ مختصر.[86] والسّؤال المطروح، هل هذا الكتاب أصله مطوّل، فقام صاحبه باختصاره؟ أم أنّ الأصل في الكتاب الاختصار في سرد الأحداث التاريخية، على الرّغم من أنّ باقي المصادر ذكرت بأنّه يقع في مجلّدات؟

يعتبر هذا الكتاب لدى البعض تاريخا مختصرا يشتمل على ذكر وفيات بعض أعيان ذلك الزّمان من أمثال العلماء، كما يفيدنا بجملة من أخبارهم،[87] ولذا يمكن اعتباره من كتب التراجم المهمّة، بما يشتمل عليه من تراجم لعلماء وقته،[88] شأنه في ذلك شأن كتب التراجم التي تحيط ترجمة الأعلام بأخبار تخصّ حياتهم العلمية والشّخصية.

*كتاب مغازي إفريقية: ورد هذا العنوان عند محمد المنوني، حين ذكر ما مفاده: "ونعود إلى تونس مع كتاب "مغازي أفريقية" لابن الجزار" ثم يضيف قائلا: "وهو من مصادر البكري، حيث اقتبس منه في كتاب "المسالك والممالك".[89]

وعند عودتنا لكتاب البكري، نستطيع تتبع أهم الأحداث التي أرّخ لها ابن الجزّار،فقد حكى فيه أنّ موسى بن نصير عند افتتاحه للأندلس التقى بشيخ أصله من قرطاجنة إفريقية، فحاول موسى أن يستفسر منه أخبارا عن هذه المدينة – يقصد قرطاجنة– وأهم أخبارها، فقام هذا الشيخ بوصفها له.[90]

هذا الكتاب، قد يكون هو نفسه الذي أورده ابن أبي أصيبعة، والذي ذكره بهذا العنوان: "كتاب أخبار الدولة"، ثم يضيف قائلا: "يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب.[91]وهو نفس ما ذهب إليه الزركلي، حين قال: "دولة المهدي –العبيدي– وظهوره بالمغرب.[92] وهذا ما ذهب إليه حاجي خليفة حين ذكر هذا المؤلّف تحت عنوان: "أخبار الدّولة"، ثم أضاف قائلا: "يعني دولة أبي محمد عبد الله [عبيد الله] المهدي.[93]

خاتمة: شهدت إفريقية– ومركزها القيروان– نشاطات علمية شملت ميادين مختلفة، سواء أكان ذلك من حيث تعاطي علمائها العلم داخل بلادهم وخارجه، وبخاصة تلك الرّحلات العلمية التي كان يقوم بها رجالات العلم والفكر، وذلك من أجل توسيع مداركهم العلمية، إلاّ أنّ البعض منهم توجّهت اهتماماتهم

بالدرجة الأولى إلى تعاطي علوم الطب، بالإضافة إلى علوم أخرى كعملية التدوين التاريخي، فبرز منهم عدّة أعلام طارت شهرتهم شرقا وغربا.

من خلال ما تقدّم ذكره، يمكن الخروج بالنتائج التالية:

1- شهدت إفريقية علماء عدّة كانت لهم إسهامات جليلة في العلوم النقلية، إلاّ أنّ باقي العلوم الأخرى ستظهر في فترات لاحقة، مثل العلوم الطبيّة، وسيبرز فيها أحد أعلامها المشهورين، ألا وهو ابن الجزار الإفريقي.

2- تميّزت شخصية هذا العالم الجليل بالبساطة والزهد في الدنيا، وبعده عن الحكّام ولم يكن من أولئك الذين يتقرّبون إليهم زلفا لجلب عطفهم نحوهم.

3- لقد حظي ابن الجزّار باحترام الجميع، سواء أكان ذلك من طرف الطبقة الحاكمة، أو طبقة العامة، وذلك لحيازته على مكانة علمية مرموقة بين نظرائه، فحفلت كتب التراجم القليلة التي ترجمت له بذكر شخصيته، وخصّصت له حيّزا لا بأس به في مؤلّفاتهم.

4- صعوبة الحصول على الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم ابن الجزّار، وهذا الكلام ينسحب على التلاميذ الذين أخذوا عنه هذا العلم أو ذاك.

5-لم يكتف ابن الجزّار بتعاطي العلم فقط، بل كانت له فيه إسهامات جليلة، وهذا ما يظهر لنا جليّا من خلال ما تركه من آثار في ميدان التأليف، والتي استحسنها جلّ من ترجم له.

6- لم تبق مثل هذه الإسهامات منحصرة في علوم الطب فقط، باعتبار ابن الجزّار كان ينحدر من أسرة تعاطى أفرادها هذا العلم، بل شملت ميادين معرفية أخرى، كان لعلم التاريخ له فيه نصيب بعد العلوم الطبيّة.

7- تعدّدت مؤلّفات ابن الجزّار الطبيّة، ما بين كتب ضخمة ورسائل ومقالات. عالج فيها هذا الطبيب مختلف الأمراض.

على الرّغم من شهرة هذا الطبيب المؤرّخ على السّاحة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي، إلاّ أنّ هذه العالم لم يلق تلك العناية من طرف كلّ من ترجم له، وقد يكون السبب في ذلك ندرة المعلومات التي وصلت إليهم، وهذا ما نستشفّه من خلال قلّة المصادر التي عنيت بإبراز معالم شخصيته وإسهامات هذا العالم في الميدان العلمي. وهذا ما صعّب علينا عملية الخوص في أعماق هذه الشخصية للإفادة من تلك الإسهامات في الميادين التي اختصّ بها، وبخاصة تلك المؤلّفات التي لازالت مخطوطة، وبعضها في عداد التراث الإسلامي المفقود ولم تر النّور بعد، والتي قد تحمل معلومات لا زلنا نجهلها لحدّ السّاعة.

الهوامش:

1– حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات والمؤلّفين التونسيين– مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش– دار الغرب الإسلامي– بيروت– لبنان– ط1– 1425هـ– 2005م– مج2– ق1– ص 738.

2– حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون– دار الفكر– بيروت– لبنان– د ت مج1– ص 120– 251.

3– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج2– ص 1126.

4– الصفدي خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات– دار الفكر– بيروت– لبنان– ط1– 1425هـ– 1426هـ/2005م– ج4– ص153– عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين– اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث– مؤسسة الرسلة– ط1– 1414هـ/1993م– ج1– ص88.

5– ينظر عن النظام النقدي الإسلامي محمود الجليلي– للكابيل والأوزان والنقود العربية– دار الغرب الإسلامي– بيروت– لبنان– ط1– 2005م– ص202 وما يليها.

6– ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء– ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط1– 1419هـ/1998م– 443.

7– ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب– تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال– دار الثقافة– بيروت– لبنان– ط3– 1983– ج1– ص 237.--- 8– سنتعرّض إلى مذهبه في موضعه..

9– السورجان: وتكتب كذلك "السورنجان، نبات يظهر له زهر في آخر الخريف، لونه أبيض شبيه في شكله بزهر الزعفران، له ساق طوله يصل إلى شبر. ابن البيطار عبد الله بن أحمد الأندلسي– الجامع لمفردات الأدوية والأغذية– دار الكتب العلمية– بيروت– مج 2– ج3– ص 54.---

10– لنِقرس: نقرس بالكسر، ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص520.

11– ابن حماد محمد بن عبد الله: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم– تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس– دار الصحوة– القاهرة– د ت– ص 49. وينظر حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر– مج2– ق 1– ص 675.

12– ابن جلجلأبو داود بن سليمان: طبقات الأطباء والحكماء– تحقيق فؤاد سيد– مؤسسة الرسالة– بيروت– لبنان– ط2– 1405هـ/1985م– ص 88.---13– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– صص 442– 443.

14– ياقوت الحموي: المصدر السابق– مج4– ص 352.---15– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– ص 443.

16– لصفدي: المصدر السابق– ج4– 153– ياقوت الحموي: المصدر السابق– مج1– ص 352.

17– للثقال: هو ما يوزن به، وهو الثقل، وهو عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة، أو عشرين قيراطا، وكان للثقال عند أهل مكة في الجاهلية معروف الوزن، إذ بلغ اثنان وعشرون قيراطا. محمود الجليلي: المرجع السابق– صص 137– 138.

18– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443.---19– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443.

20– حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيين– مراجعة وإكمال– محمد العروسي المطري وبشير البكوش– دار الغرب الإسلامي– بيروت– لبنان– ط 1– 1425هـ/2005م– مج2– ج1– ص 739.

21– عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم– حققه بشير البكوش– دار الغرب الإسلامي– بيروت– ط2– 1414هـ–1994م– ج2– ص 430.

22– حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية– مكتبة المنار– تونس– 1972– ج1– ص 240– ج1– صص 233– 244. نقلا عن ابن الجزّار القيرواني: كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها– تحقيق سلمان قطابة– دار الرشيد للنشر– الجمهورية العراقية– ط 1980م– ص 20.

23– صاعد الأندلسي: طبقات الأمم– تحقيق حياة بوعلوان– دار الطليعة للطباعة والنشر– بيروت– لبنان– ط1– 1985– ص153.

24– ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب– حققه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدّم له– عمر فاروق الطباع– مؤسسة المعارف– بيروت– لبنان– ط1– 1420هـ/1999م– مج1– ص 352.

25– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 442.---26– ابن أبي أصيبعة: نفسه– 442.

27– لصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153.---28– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق– ج1– ص 237.

29– ورد بهذا الرّسم "بقيت" عند الصفدي: المصدر السابق– ج4– ص154.-- 30– ظهر عند الصفدي: نفسه– ج4– ص 154.

31– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– صص 441– 442– عمر رضا كحالة: المرجع السابق– ج1– ص 342–

32– انخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي– ص– 461– حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر– مج2– القسم الأول– ص 742.

33– حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر– مج2– القسم الأوّل– صص 742– 749.

34– لمزيد من المعلومات عن مؤلّفاته. ينظر ابن الجزّار القيرواني: كتاب في المعدّة وأمراضها ومداواتها– مقدمة المحقق– صص 31– 37.

35– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– ص442– وينظر رابح بونار: المرجع السابق– ص 72– 73.

36– ياقوت الحموي: إرشاد الأريب– مج1– ص 352.--- 37– صاعد الأندلسي: المصدر السابق– ص 153– الصفدي: المصدر السابق– ج4– ص 153.--- 38– صاعد الأندلسي: المصدر نفسه– ص 153.

39– لصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153– ياقوت الحموي: المصدر السابق– مج1– ص352.

40– حاجي خليفة: المرجع السابق– مج2– ص 946.

41– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443– صاعد الأندلسي: المصدر نفسه– ص 154– ياقوت الحموي: المصدر نفسه– مج1– 352.---42– رابح بونار: المرجع السابق– ص193.

43– خير الدين الزركلي: الأعلام– دار العلم للملايين– بيروت– لبنان– ط17– 2007م– ج1– ص 85.

44– أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي– نقله عن الإسبانية حسين مؤنس– مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة– د ت– ص 461.

45– وردت بها الرسم "سمّى" عند الصفدي: المصدر السابق– ج4– ص 154.

46– وردت بهذا الرّسم "مواقعها" عند الصفدي: المصدر السابق– ج4– ص 154.-- 47– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– ص443.

48– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443– ياقوت الحموي: المصدر السابق– مج1– ص 352.

49– صاعد الأندلسي: المصدر السابق– ص 154.--- 50– فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي– اليميا – الكيميا – لنبات – الفلاحة– ترجمة عبد الله بن عبد الله حجاري– ط2– 1412هـ– مج 4– ص 511.

51– حاجي خليفة: المرجع السابق– مج1– ص 120.---52– خير الدين الزركلي: المرجع السابق– ج1– ص 85.

53– وردت عند حاجي خليفة بهذا الرّسم "العمدة". المرجع نفسه– مج2– ص 1171.

54– قفط:هي مدينة متباعدة عن ضفة النيل من الناحية الشرقية، وهي من المدنالمتحضّرة، تتميّز بتنوّع سكانها، وفيها بعض بقايا الرّوم، تحتوي على مزارع بها البقول واللّفت والخسّ، ومنها يستخرجون أدهانها ويصنعون منها أنواعا عديدة من الصابون، ويقومون بتصديره إلى باقي المناطق الأخرى. الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس– مقتبس من كتاب نزهة المشتاق لأبي عبد الله الشريف الإدريسي– تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر– 1983– ص 109– 110.

55– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– ص 443.---56– فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي– مج4– ص 511.

57– صاعد الأندلسي: المصدر السابق– ص 154– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443– ياقوت الحموي: المصدر السابق– ج1– ص 352– خير الدين الزركلي: المرجع السابق– ج1– ص 85– عمر رضا كحالة: المرجع السابق– ج1– ص 88.

58– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444– لصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153.

59– حاجي خليفة: المرجع السابق– ص 253.---60– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج2– ص 1095.

61– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج2– ص 1592– إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون– دار الفكر– بيروت– لبنان– مج4– ص 431.---62– إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون – مج3– ص 607.

63– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443.---64– خير الدين الزركلي: المرجع نفسه– ج1– ص 85.

65– لصفدي: المصدر السابق– ج4– ص 153.

66– ياقوت الحموي: المصدر نفسه– مج1– ص 352– صاعد الأندلسي: المصدر السابق– ص 154– رابح بونار: المرجع السابق– ص 193– عمر رضا كحالة: المرجع السابق– ج1– ص 88.---67– ابن أصيبعة: المصدر السابق– ص 443.

68– خير الدين الزركلي: المر جع السابق– ج1– ص 85.---69– خير الدين الزركلي: المرجع نفسه– ج1– صص 85– 86.

70– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443.---71– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 153.

72– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444.---73– الصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153.

74– ابن أ بي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444.---75– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج1– ص 857.

76– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444.---77– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج1– ص 864.

78– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج1– ص 870.

79– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444– الصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج1– ص 896.---80– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 443– حاجي خليفة: المرجع نفسه– مج1– ص 841.

81– صاعد الأندلسي: المصدر السابق– ص 154.---82– ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب– مج1– ص352.

83– الصفدي: الوافي بالوفيات– ج4– ص 153.---84– الصفدي: المصدر نفسه– ج4– ص 153– وصفه الزركلي بأنّه كتاب كبير. المرجع نفسه– ج1– ص 85.--- 85– ياقوت الحموي: المصدر نفسه– مج 1– ص 352.

86– حاجي خليفة: المرجع السابق– مج1– ص 420.--- 87– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق– ص 443.

88– رابح بونار: المرجع السابق– ص 193.--- 89– محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب– من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث– منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية– الرباط– المملكة المغربية ص 18.

90– لبكري: المسالك والممالك– حققه ووضع فهارسه جمال طلبة– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط1– 1424هـ/2003م– ج2– ص 217 وما يليها. ولمزيد من المعلومات عن قرطاجنة إفريقية ينظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار– تحقيق إحسان عباس– مكتبة لبنان– ط2– 1984م– ص 462 وما يليها.--- 90– ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه– ص 444.

92– لزركلي: المرجع السابق– ج1– ص86.--- 93– حاجي خليفة: كشف الظنون– مج1– ص27.

Summary: Ibn al-Jazzar al-Kairouani is considered one of the flags of the Islamic Maghreb Endowed who have contributed to the enrichment of the scientific life and this is what is clear to us clearly through those effects left us, it is through this paper I will try the profile of this scientist and produced in some fields of science and knowledge.

In this step, I will address those differences in the years of his birth and the year in which the Ibn al-Jazzar el-Kairouani died. And the errors and confusion in which both can not be achieved from it all is. And our approach to the use of some graphics to illustrate those contained differences in sources and reported by modern references.

This is on the one hand, on the other hand, the same approach that relies extrapolate some charts to identify the most important works of Ibn al-Jazzar, including missing and available and that took care of the hands of investigators to remove them from the darkness of the libraries to see the light on supported them. Giving information on these compositions and Astute of scientific material, and this applies to the production in the field of medicine and written in history, and through the extrapolation of what it contained some of the sources of knowledge concerning the substance of these compositions.

In the last of this paper ended with some conclusions have I learned through my studies of the most important talent produced by this scientist, which flew her fame, east and west.